Wondershare PDFelement

المستوى : سنة أولى ماستر –أنثروبولوجيا اجتماعيه وثقافية

المقياس: **الفكر العربي المعاصر**

المحاضرة رقم **(04): واقع الفكر العربي في عصر النهضة**

النهضة العربية و حركة البعث الأدبي والنقدي

يبدي الكثير من الباحثين العرب في الفكر والأدب والنقد اهتمامًا مركزيًا بإشكالية النهضة العربية لكونها نقطة تحوّل حاسمة صاغت مسار المشروع التحديثي العربي، وكونت الإطار السوسيوثقافي والمعرفي الذي تعزي إليه الكثير من إشكالات الواقع الحضاري العربي، لهذا ليس مستغربًا أن تعود قضية النهضة بأسئلتها المعقدة وبكلّ حيثياتها (من حيث المؤشرات، الميكانيزمات، النتائج...) كلّما جرى الحديث عن التأريخ للمشروع النهضوي العربي بتعثراته وآفاقه، ولا يخرج المبحث النقدي العربي الحديث عن هذه القاعدة.

منذ بداية القرن الماضي وحتى اللحظة الراهنة، لم تتوقف الاجتهادات ولا الآراء للإجابة عن سؤال النهضة، فثمة عشرات المتون ومئات البحوث، التي انشغل أصحابها باستقصاء مبادئ النهضة، ودراسة شروط التقدم . اختلفت فيها الرؤى وتعددت المناهج وتنوعت الاجتهادات، ما بين الابستمولوجيا والايدولوجيا، ما بين التنظير المتعالي والتفكير الواقعي فيما بقي السؤال قائماً، مفتوحاً على الأجيال، بعد أن هزمت التجارب وأخفقت المحاولات العربية في الوصول إلى تحقيق تطلعاتها، سواء بسبب تجريداتها النظرية أم أحلامها العائمة، أم لعجز في قدراتها الذاتية.

حول مفهوم النهضة:

يرى المفكر مالك بن نبي أن توجيه الأشياء الإنسانية يعني أولا تعريفها، وفي التاريخ منعطفات هائلة خطيرة يتحتم فيها هذا التعريف؛ والنهضة في العالم العربي الإسلامي إحدى تلك المنعطفات المفصلية لأنها تشكل لحظة فارقة بين عهدين .وحينما يصل التاريخ إلى مثل هذا المنعطف من دورة الحضارة، فإنه يصل إلى المنطقة التي تتصل فيها نهاية عهد ببداية عهد آخر .ويتجاوز فيها ماضي الأمة المظلم مع مستقبلها الشرق البسام [1] وهكذا حين نتحدث عن النهضة نحتاج أن نعرفها في ضوء دلالات المصطلح في اللغة العربية قبل أن نستكشف المفهوم في سياق شرطه التاريخي .

النهضة لغة:

لابد من التذكير –بداية– أن لفظة النهضة هي الترجمة العربية الأكثر تداولا وانتشارا للمصطلح الغربي Renaissance التي تعني في دلالتها اللغوية الانبعاث والولادة من جديد، وكما أشرنا إليه سابقا، فإن لهذا المصطلح أبعاده وحمولته التاريخية الثقافية والاجتماعية والسياسية .

[1]- ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين ، عمر كامل مسقاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1986،ص79.

أما النهضة فتعني في لسان العرب : النهوض البراح من الموضع ، والقيام عنه ، نهض ينهض نهضا ونهوضا : قام من مكانه ، وارتفع عنه إلى العدو :أسرع إليه يحاربه ، وأنهضته أنا فانتهض، وأنهضته أي حركته للنهوض ، واستنهضته لأمر كذا :إذا أمرته بالنهوض له وناهضته إذا قاومته ...ونهض النبت إذا استوى ...و النهضة الطاقة والقوة، وأنهضه بالشيء قواه على النهوض به....وطريق ناهض أي صاعد في جبل وهو النهض وجمعه نهاض ...ومكان ناهض مرتفع ، والنهضة بسكون الهاء العتبة من الأرض[2]. وكما هو جلي ،' فإن هذه الدلالة اللغوية تحيلنا إلى حركية النهوض وفاعليته أو لنقل دلالة الشروع في فعل ما والاضطلاع بالأمر و القيام به .

النهضة اصطلاحا

تحمل كلمة النهضة عدة مضامين حسب سياقات ورودها ، فيقصد بها :الانبعاث الإحياء و اليقظة و التقوية ، والصحوة ، والتحديث والتقدم و التجديد والفاعلية الحضارية والبعث الحضاري ،و بشكل عام يمكن القول : إن النهضة من ناحية التعريف الاصطلاحي ، هي ارتقاء كيان مجتمعي من حال جمود وتخلف إلى حال تحرك ونهوض . ذلك أنها تعني أساسا التغيير الجذري الشامل للهياكل الأساسية لهذا الكيان ، وبنيته الإنتاجية، وعلاقاته الاجتماعية ، فضلا عن نظم القيم والمعتقدات السائدة فيه، تغييرا ينبع من ذاتيته ، دون أن يعني هذا انقطاعا مطلقا عن أي تأثر بخبرات نهضة أخرى [3]... ، ولا ينفصل هذا التعريف الاصطلاحي عن التعريف التاريخي الذي يعني في التجربة الأوربية الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، بما يعني هذا من تغير كياني جذري طال جميع جوانب الحياة المعنوية والمادية.

وكما هو جلي من خلال هذا التحديد الاصطلاحي، فإن عصر النهضة مصطلح تاريخي يطلق على فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، كما يدل على التيارات الفكرية والثقافية التي ظهرت بداية في إيطاليا لتنتشر بعد ذلك في سائر أوربا. وهي عصر المناداة بمفاهيم جديدة تقضي التحرر من سيطرة الكنيسة والإقطاع والاهتمام بسلطان الفكر المادي.

أما عربيا فالأمر يختلف، حيث يطلق مصطلح النهضة على جملة التطورات التي عرفتها بعض الأقاليم العربية كمصر وبلاد الشام وتونس ، على ما بين بيئات التطور العربية من تفاوت في مواقيت النهوض . مثلما يؤكد ذلك اختلاف القراءات:

بدايات النهضة :معرفة الآخر:

حملة نابليون بين التضخيم والتفكيك.

القراءة الأولى :

ارتبطت بداية النهضة العربية – تاريخيا – في الكثير من الدراسات الغربية والعربية بحملة نابوليون على مصر ، التي دامت 3 سنوات (1798–1801)، ويذهب العديد من المهتمين بالحركة النهضوية – أو التنويرية – إلى أنّ

[2]- أحمد ابن منظور ، لسان العرب، ج15، دار إحياء التراث ومؤسسة التاريخ العربي، ط2، 1997، ص357-358.
[3]- مجدي حماد ، ثورة مصر مشروع نهضة عربية، دار النهضة العربية، بروت، 2012، ص458

Wondershare PDFelement

حملة نابوليون " أحدثت ردّ فعل ضخم تمخّض عنه انقلاب واسع النطاق في الكيان العربي"، حتى أن الباحث " حامد حفني داود" يعتبرها بمثابة العصا السحرية التي أيقظت الشعور في الشّرق إلى خلع اللباس القديم الذي كانت تحياه مصر في ظلال العصور الوسطى وارتداء ذلك اللباس الجديد الذي جاء ومشرق هذه الحملة..."

إنّ التفوق العسكري الفرنسي، فضلاً عن التفوق العلمي والتنظيم الإداري والتشريعي... وغيرها من منجزات الحادثة الأوروبية، كلّ هذه المعطيات إذن ساهمت في وضع الوعي العربي أمام تخلّفه للمرة الأولى، في حدّة معرفية، جذرية، حدّة حطت من حضور الاحتلال الفرنسي مرآة تكتمل فيها معرفية الوعي بحدوده الذاتية.

إذن، بعد الركود الحضاري الذي عمّ المنطقة العربية في العهد العثماني أحدثت الحضارة الأوروبية تنساح في جنيات مصر ومنها إلى بقية البلاد العربية، كما يؤكده المؤرخ الإنجليزي الجود (Elgood) : " لقد ترك الإحتلال الفرنسي في مصر أثر ا لا يمحى فقد ظلّ المصريون يعجبون بنابليون بعد خروجه من ديارهم، وظلت طرق الإدارة الفرنسية مهيمنة على حكومة مصر، وظلّت عادات التفكير الفرنسية تسيطر على الطبقة المستديرة لمصر..."

لقد شكّلت " صدمة الآخر" من هذا المنظور " قناعة عند النخب الطليعة العربية مؤدّاها " أنه لا سبيل إلى مجاوزة التخلف ومحو الشعور المؤرق بالهزيمة والإنكسار، إلا بمعرفة أسرار تقدم ذلك الأخر الذي انطوى التعامل معه على نوع من التضاد العاطفي والفكري متعدد الأبعاد..."

بالفعل، لقد امتزج التطلع إلى معرفة الأخر والانبهار به وتقليده شعور مضاد قوامه النفور الخوف والتوجس (بسبب الطبيعة الاستعمارية للتواجد الأوروبي في البلاد العربية، بالإضافة إلى الوازع الديني...)، وهذا الأمر الذي حدّا بالإنتلجانسيا العربية إلى تبني خيارات فكرية وايديولوجية متباينة لا تزال تمارس تأثيرها إلى يومنا هذا، وهذا تحت مظلة اتجاهات عدّة بدوال عدّة (التوفيقيون، الإصلاحيون، الإحيائيون، المسلمون، العلمانيون، اليساريون...)

القراءة الثانية :

يرى بعض الباحثين العرب المعاصرين من منطلق تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النهضة – أنّ المثقفين العرب عمدوا إلى تضخم دور حملة نابوليون، ويعود ذلك – كما يؤكد عبد الله ابراهيم، إلى عدة عوامل من بينها غياب النقد التاريخي واهمال المراجعة الدورية التي تستخلص من وقت لأخر القيم المعرفية من الأحداث التاريخية، اللجوء إلى النتائج السهلة والسريعة، بالإضافة إلى الهوس الذهني الامتثالي لمقولات أشاعتها الثقافية الغربية المتمركزة حول ذاتها. إنّ التركيز على حملة نابوليون وتبجيلها هو حسب نفس الباحث، امتثال القوة الاستعمارية ولخطابها في وصف الظواهر الأدبية والفكرية، بينما قصّر أمر الحملة وطابعها العنيف والاستيطاني لم يكن من شأنه أن يسمح لـ " الحداثة" بمد جذور لها في مصر."

هذا الخطاب – إذن– ضخّم من جهة دور الحملة الفرنسية، لكنه قزّم واستبعد من جهة أخرى دور بلاد الشام في بلورة ملامح النهضة العربية، ذلك أنها عرفت الطباعة، والترجمة والمدنية، والتثاقف مع الآخر/ الغرب، قبل حوالي قرنين من بداية الحملة الفرنسية. بالفعل لقد كانت ثمة علاقات سياسية وثقافية أكيدة بين الشوام المسيحيين الناطقين بالعربية وبين أوربا ، وقد نشأت علاقات مبكرة بين المراكز المسيحية في حلب ولبنان . وفي كلا البلدين تركز النشاط

الثقافي في الأديرة والمعاهد الدينية إضافة إلى المدارس التابعة لهما ، التي كان عددها في تزايد مستمر (...).كان كثير من رجال الدين الموارنة في لبنان يدرسون في المعهد الماروني في روما ، وقد اشتهر منهم كثيرون ،ترجموا من العربية عددا من الكتب في التاريخ واللاهوت والأدب. وكانت اللغات الأوربية تدرس في العديد من المدارس التي أسست لبنان.

ويلخص " عبد الله ابراهيم" إلى أن حملة نابليون " حدث تاريخي شأن غيره، لا يمكن تحميله بقيم ثقافية وحضارية خاصة تجعله حدثا استثنائيا ومتفردا في مسار التاريخ..."

جهود محمد علي وخلفاؤه:

لقد وفد "محمد علي" إلى مصر مع الحملة التي أرسلتها الدولة العثمانية إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها، ثم انتدب واليا على مصر سنة 1805، ولقد استطاع محمد علي أن يستأثر بالحكم ليبدأ بعد ذلك في تشييد البناء الجديد لمصر الحديثة، وقد بدأ ذلك بتكوين جيش (تأسيس مدرسة حربية المدادية وإرسال بعوث عسكرية إلى فرنسا وإيطاليا)، وكذا إنشاء المستشفيات ومدارس الطب، كما أسس مطبعة بولاف التي كانت تقوم في ذلك الوقت بطبع صحيفة الوقائع المصرية، كما أوفد محمد علي بعثات علمية من الطلاب المصريين إلى أوروبا (فرنسا خاصة)، وقد شكلت أولى هذه البعثات النواة الأولى التي على أساسها نظمت المدارس الحديثة.

وكان من أهم طلاب هذه البعثات " رفاعة الطهطاوي" صاحب كتاب " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " الذي صدر عام 1834. على هذا النحو، «كان سلوك محمد علي في مجال السياسة المدنية وإصلاح الحكم ، وسلوك الطهطاوي الموازي له في مجال الفكر والثقافة مؤشرين قويين على بدء مسار إصلاح يجعل من النهوض بالبلاد وتغيير أحوالها موضوعه الأثير، وهذ النشاط المصلح هو مل تم تعريفه وجرت الإشارة إليه بمصطلح جديد على العرب والمصريين تلك الأيام هو مصطلح النهضة الذي حمل الدلالة على ديناميكية غير معهودة خلال العصرين المملوكي والتركي السابقين .»[4]

وقد أوصل أحفاء محمد علي عملية التحديث، خاصة منهم " اسماعيل " (دام حكمه من 1863 إلى 1879) وقد تزايد في عهده النفوذ الغربي وحضوره في مصر، كما تزايدت حركية التشييد والبناء والإصلاح (إقامة المصانع، بناء المدارس، تشييد الجسور...)، كما ازدهرت في عهده حركة التأليف الفكري من طبع وترجمة وتأليف وحرية فكر وصحافة ومسرح...

ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى دور الثورة العرابية التي انطلقت سنة 1881، والتي جعلت الشعب المصري يستيقظ لشخصيته (بروز مفهوم القومية العربية)، ومن ثم كانت الثورة العرابية نقطة الانطلاق في تغيير المفاهيم السياسية وتعديل المفاهيم الاجتماعية.

وقد أثرت الثورة العرابية على الحياة الفكرية والثقافية لمصر، لتساندها ثلة من المفكرين ورجال الإصلاح منهم : جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، قاسم أمين وغيرهم.

---

[4]- محمد الطيب قويدري، مفهوم التراث في النقد العربي الحديث، دار E- Kutub Ltd ، لندن، ط1، 2018، ص56-57,

تفاعل الأدب والنقد مع شروط النهضة:

لقد امتدت الحركة النهضوية إلى ميداني الأدب والنقد، لترسم وتصوغ أهم معالم واتجاهات وإشكالات المسار الأدبي والنقدي في مرماه التحديثي، ولعله من ناقل القول التأكيد على التباين والتفاوت الذي عرفته الكتابات الأدبية والدراسات النقدية آنئذ، وإن اشتركت جميعا في التأرجح بين عاملي : الثقافة الغربية والتراث العربي الإسلامي.

بالنسبة لحقل النقد الأدبي، فقد ظل هذان العاملان منذ نهاية القرن التاسع عشر عاملي شد وجذب – كما يؤكد سعد البازعي في كتابة – استقبال الآخر – الذي اختزل سيرورة الفعالية النقدية العربية، حيث يقول : " ضمن الاشتغال بالبلاغة في أوّل الأمر بوصفها الأداة الرئيسية لدراسة الأدب والامتداد الطبيعي الموروث الغربي فيما يتصل بتلك الدراسة، إلى الانفتاح التدريجي والمتزايد، عبر العقود المتعاقبة، على الثقافة الغربية وتبني تياراتها ومدارسها ومفاهيمها النقدية، تمتد قصة النقد العربي الحديث في توتر متصل يشغله الحنين إلى الموروث، وما يتضمنه من محافظة على الهوية، حينا، وتغريه الحداثة الغربية، وما يلوح فيها من تغيير ومواكبة حينا آخر".

أما فيما يخص الأدب، فيرى الباحث حفني حامد داود " أن فجر العصر الحديث لم يعرف تجديدًا في الأدب الحديث، " ذلك لأنّ التطور الأدبي لابد من أن يكون مسبوقًا بعدّه مراحل يتم بعدها التطور وتتلخص هذه المراحل على الترتيب : 1/- مرحلة النقل والترجمة، 2- مرحلة الجمع والاستيعاب، 3- مرحلة النصبح والتمثل الفني، 4- مرحلة الخلق والإيداع.

وهو ما لم يجتمع في فجر النهضة العربية، حيث ظل الأدب(....وشعرا) يدور في سجن الصناعة اللفظية والهرجة اللغوية.

وقد تبلورت الوثبة الأولى نحو التجديد حسب نفس الباحث مع ظهور الثروة العربية، حيث برز رواد للشعر وقد امتلئوا حماسًا لبحث واستعادة الشعر في رونقه القديم الأصيل الذي عرف به في عصور الزاهرة من الجاهلي إلى العباسي " وقد كانت ثورته الفنية أشبه بردة فعل لهذه الثورة العربية التي كانت في حقيقتها وسيلة لاستعادة الشخصية المصرية المتحررة من كل تأثير أجنبي" وقد كان رائد هذه الحركة محمود سامي البارودي.

" وقد جاء بعد حركة البعض التي أحياها البارودي حركة المدرسة الكلاسيكية المجددة التي تزعمها أمير الشعراء أحمد شوقي، فحركة الشعراء التطوريين، وقد كان هؤلاء الشعراء شبه بالقنطرة التي سار عليها الشعر العربي الحديث من مرحلة البحث والإحياء إلى مرحلة الخلق والتجديد".

Wondershare PDFelement

ظلَّ عصر النهضة العربي مجالًا خصبًا للكتابات التَّاريخية، والدراسات الفكرية، التي سعت إلى تأريخ أفكار هذا العصر، ودراسة التفاعلات الفكرية والحركية وربطها بعصرنا الحاضر. لذا سأقوم بعمل مقارنات ومقاربات بين ثلاثة كتب مهمَّة تناولت فكر النهضة العربي عبر سلسلة من المقالات، بحيث أبتدئ بكتاب ألبرت حوراني الذي يعتبر باكورة الكتب التي أرخت لعصر النهضة العربي، وأنتهي بكتاب زكي ميلاد وهي بحسب تعاقبها الزَّمني على النَّحو الآتي:

1. الفكر العربي في عصر النهضة لألبرت حوراني الصادر عام 1962م.
2. الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة لعلي المحافظة الصادر عام 1975م.
3. عصر النهضة.. كيف انبثق ولماذا أخفق؟ لزكي ميلاد الصَّادر عام 2016م.

وتمتاز هذه الكتب بالتباعد الزَّمني واختلاف الطَّرح وبينها كتاب حديث الإصدار، كما نجد أنَّ هناك تباعد زمني بسيط بين الدراسة الأولى والثانية وتباعد ما يقارب ثلث قرن ما بين الدراسة الثانية والثالثة، وهو ما دعانا إلى عمل مراجعة ومقاربة بين هذه الأطروحات، حيث سيكون المقال الأول تقديم عرض لكتاب ألبرت حوراني والمقال الثاني تقديم كتاب علي المحافظة ثمَّ المقال الثالث مناقشة كتاب زكي ميلاد وعرض المقارنات والملاحظات بين الكتب الثلاثة.

كتاب ألبرت حوراني الفكر العربي في عصر النهضة 1797-1939م

ولد المؤرخ ألبرت حوراني في مدينة مانشستر عام 1915م، وهو من أصول لبنانية، تخرَّجَ من جامعة اكسفورد عام 1936م حيث درس فيها التاريخ والفلسفة والاقتصاد والسياسة، عمل أستاذًا جامعيًا في الجامعة الأمريكية في بيروت ما بين أعوام (1937-1939م) وأيضًا في جامعة أكسفورد حتى تقاعده عام 1979م كما عمل أستاذًا زائرًا في عدة جامعات، وقد توفي عام 1993م، من أهم كتب ألبرت حوراني "تاريخ الشعوب العربية" الصادر عام 1991م، والكتاب الذي نحن بصدد عرضه "الفكر العربي في عصر النهضة"، لا يفضل ألبرت حوراني أن يتم وصفه بمستشرق وإنما يصف نفسه بإنجليزي المولد والنشأة والكتابة، فهو مؤرخٌ استخدم المنهج الغربي في التَّأريخ العربي

يُعتبر كتاب **الفكر العربي في عصر النهضة 1797-1939م** من الكتبِ المبكرة التي عُنيت بدراسة وتأريخ الأفكار النهضوية للعرب من نهاية القرن الثامن العشر إلى منتصف القرن العشرين، صدر الكتاب أول مرة عام 1962م في بريطانيا، وتمَّ نقله إلى اللغة العربية عبر المترجم كريم عزقول فصدر عام 1968م في دار النهار ببيروت، ويأتي الكتاب في (472) صفحة من القطع المتوسط.

قدَّمَ ألبرت حوراني اعتراضه على ترجمة عنوان الكتاب في مقابلته مع مجلة المجلة، فقد أُستخدم لفظ نهضة بدلًا عن ليبرالي، المرادف لنفس الكلمة في عنوان الكتاب باللغة الإنجليزية (Arabic Thought in the Liberal Age 1798 -1939) حيث يقول حوراني بأنَّ كلمة نهضة تأخذ انطباعًا مختلفًا عن كلمة ليبرالي ويوضح بأنَّ الليبرالية هو المناخ الذي سادَ في أوروبا في تلكَ المرحلة.

Wondershare PDFelement

توزع الكتاب على ثلاثة عشر فصلًا، جعل ألبرت حوراني الفصول الثلاث الأولى مدخل تاريخي لموضوع الكتاب الرئيسي، ثمَّ بدأ بالتأريخ انطباع الجيل الأول وما تلاه، مستخدمًا نصوص وكتب الرواد مستشهدًا بها ومحللًا لها في الوقتِ ذاته، ثمَّ تعرَّضَ حوراني للأفكار العلمانية والقومية المصرية والعربية التي ظهرت في تلكَ المرحلة، وفي الفصل الأخير قدَّمَ قراءة استشرافية للفكرِ العربي.

تحقيب الفكر العربي:

يقول ألبرت حوراني في مطلعِ كتابه: "العرب أشد شعوب الأرض إحساسًا بلغتهم، وهي فرضية سلّم بها ولم يعطِ لها استدلالًا، حاول حوراني تبيان تطور الفكر العربي الذي ولد بولادة النَّبي محمَّد صلى الله عليه وسلم، والذي شهد تحولًا في حياة العرب وظهور دولة الخلافة الراشدة وما أعقبها من دول، ثمَّ ينتقل إلى الجانب الفكري بشقيه الشَّرعي والسياسي، فيوضح مراحل جمع القرآن، ثمَّ يعرج إلى مسألة نظام الحكم في الإسلام وغياب النص الصريح له، ويتناول علم الجرح والتعديل الذي ساعد في تنقية السُّنَّة النَّبوية ويرى حوراني أنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية شكلتا النِّظام المثالي عند المسلمين، ثمَّ يبين تأثير هذا النظام على الجانب الاجتماعي وكيف أنَّ الممارسات التعبدية وحَّدت الفكر الجمعي للمسلمين، وأن كل عبادة لها تأثيرها الخاص في المجتمع الإسلامي، كما وضح بأن دعوة الرسول عالمية وليست خاصة، وأشار بأنَّ الشريعة الإسلامية أصبحت نظام حياة لدى العرب ويذهب بأنها الروح المحركة للدولة الإسلامية، وأنَّ الدول الإسلامية المتعاقبة انتهاءً بالدولة العثمانية كانت الشريعة الإسلامية المحرك الأساسي لها، ولم يقدم تحقيبًا للفكر من بداية ولادة الدولة الإسلامية وصولاً إلى الدولة العثمانية وإنما وضَّحَ جذور الفكر العربي وتطوره عبر التَّاريخ.

كما حاول تحقيب الفكر العربي النهضوي من حملة نابليون بونابرت على مصر عام 1798م – وهي الفترة المعنية بها الدراسة– حيث يعتبر حوراني بأنَّ الحملة الفرنسية على مصر أيقظت الفكر العربي من سباته الطويل وبعثته للنهوض، ومن هذه الفرضية انطلقَ حوراني في تحقيبِ الفكر العربي بطريقةٍ غير مباشرة وهي على النَّحو الآتي:

الحقبة الأولى (1798–1870م)

يرى حوراني بأنَّ الحملة الفرنسية هي اللحظة التي انبثقَ منها فكر النهضة، وأبرز رواد هذه الحقبة الذي تناولهم حوراني هما: رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي.

الحقبة الثانية (1870–1900م)

وهي الفترة التي ظهر بها جمال الدِّين الأفغاني وتلميذه محمد عبْده، وقد رأى هذا الجيل ألا تناقض بين المدنية الغربية والإسلام.

الحقبة الثالثة (1900–1939م)

وهي فترة ظهور بارز لفكر القومية العربية والوطنية كما تخللها بروز فكر العلمانية.

الحقبة الرابعة (1939-1962م):

وهو الجيل الذي عاصره ألبرت حوراني الذي يرى بأنَّ هذا الجيل استطاع الموافقة بين الحداثة والتراث إلى حدٍّ بعيد.

الفكر العربي ورواده

1-الجيل الأول (جيل الصدمة)

لم يؤرخ حوراني الفكر العربي عبر المدارس أو الاتجاهات كما فعل الدكتور محافظة، وإنما استخدم نصوص الرواد لمعرفة الفكر وتأريخه، وبدأ برفاعة رافع الطهطاوي (1801-1873م) الذي ذهبَ إلى فرنسا في أولِ بعثة مصرية وقضى في باريس خمس سنوات أثَّرت في أفكاره، وألف كتاب "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" وهو ما قال عنه الدكتور محمَّد عمارة "أول نافذة أطلَّ منها العقل العربي على الحضارة الأوروبية الحديثة" وطرح رفاعة سؤال كيف بإمكان العالم الإسلامي أن يدخل في عصر الحداثة دون أن يتخلى عن الإسلام؟ و قدَّم أطروحة نلخصها كما قدَّمها حوراني كالآتي: يجب على الشَّريعة أن تتلاءم مع واقع اليوم، التربية الصحيحة تقود إلى شعب مؤهل يستطيع أن يشترك في الحكم دون الولوج إلى أحقية الحاكم، ويعود تقدم الدول وسقوطها كما يرى طهطاوي إلى روح الأمة، والوطنية. ويشير حوراني بأنَّ فكرة القومية المصرية بدت واضحة في فكر الطهطاوي.

ثم يتناول حوراني رائد بارز وهو خير الدين التونسي (1810-1899م)، الذي تدرج في مناصب الدولة العثمانية وقد زار فرنسا وتأثر بالحداثة الأوروبية ووضع مفهوم التنظيمات الدنيوية، التي على العالم الإسلامي أن يتملّكها وإلا غرق بالتخلف والاستعمار من قبل أوروبا، ويذكر حوراني بأنَّ خير الدين التونسي ركز على دور الدولة في المجتمع ولا يمكن نجاحها إلا باقتباس الحداثة الغربية، ويوضح حوراني بأنَّ طهطاوي وخير الدين اتفقا على أن لا تقدم إلا بالحداثةِ الغربية، ولكنهما اختلفا في فكرة القومية فقد انطلقَ طهطاوي من القومية المصرية بينما خير الدين التونسي من الأمةِ الإسلامية.

ويتناول حوراني أيضًا بطرس البستاني (1819-1883م) المسيحي، الذي روج لفكرة بأن الشرق الأدنى لا ينهض إلا عبر علوم أوروبا الحديثة، فوضع سؤال ماذا يجب على الشَّرق الأدنى أن يستعين به من الغرب لكي ينهض؟ وحاول الإجابة عليه عبر اهتمامه بترجمةِ العلوم التجريبية الغربية إلى اللغة العربية، وحاول استصلاح اللغة العربية لتكون صالحة للعلوم الدنيوية، كما إنه دعا إلى قومية عربية إقليمية.

2.الجيل الثاني (لا تعارض بين الدين والمدنية)

ويتناول حوراني أبرز رائد من روَّاد النهضة وأكثرهم جدلاً، جمال الدّين الأفغاني (1839-1897م) حيث يعتبره مالك بن نبي وعبد الرَّحمن الرافعي وحسن حنفي، باعث النهضة وموقظ الأمة، يرجح حوراني بأنَّ الأفغاني ينتمي إلى الطائفة الشيعية ويستدل باستشهاد الأفغاني بفلسفة ابن سيناء في خطبه في زمن لم تكن تدرس فلسفة ابن سيناء إلا في المدارس الشيعية ، لكن الأفغاني اصطدم ببوارج الاستعمار؛ لذلك حاول الإجابة عن سؤال كيف باستطاعة العالم

Wondershare PDFelement

الإسلامي مواجهة الاستعمار الأوربي؟ ودعا الأفغاني إلى مراجعة للدين الإسلامي والعودة إلى الإسلام الحقيقي، كما أن الأفغاني وضع فكرة الجامعة الإسلامية، التي تبناها السُّلطان عبدالحميد الثاني (1848–1918م) محاولاً الحفاظ على الدولة العثمانية، واستطاع الأفغاني نشر أفكاره عبر مجلة (العروة الوثقى) التي أسسها في باريس، كما أن جولاته في حواضر وعواصم العالم الإسلامي كان له الدور البارز في تحريك الفكر العربي في هذه المدن، ويرى حوراني بأن السنوات التي قضاها الأفغاني في مصر كانت خصبة بالأفكار النهضوية، كما يرى المؤلف بأنَّ فكر جمال الدين الأفغاني لم يكن دينيًا بل حوى فكرة المدنية التي كانت من بذور الفكر الأوربي في القرن التاسع عشر ويدل على ذلك مناظرته مع المؤرخ الفرنسي رينان (1823–1892م).

وتبرز نقاط قوة الأفغاني بأنه شخصية مؤثرة لمن حوله، حيث إن محمد عبْده (1849–1905م) تأثَّر به، حيث زعم بأنَّ الإسلام الحقيقي لا يتعارض مع المدنية الحديثة، كما وضع فكرة المستبِد العادل، ويقول حوراني أنَّ محمد عبده بنى جدارًا أمام العلمانية فكان جسرًا لها، وهو ما تبين فيما بعد عبر تلاميذ محمد عبده، الذين انقسموا إلى تيارات فكرية متضادة.

3.الجيل الثالث (المدنية الحديثة):يتحدث حوراني بأنَّ فكر محمد عبْده أفرزَ اتجاهين، الاتجاه الأول طبقة مثقفة من تلاميذه وأصبحت نخبوية تمثلت في مؤسسات الدولة وتطور الاتجاه نحو العلمانية والتي ولد من رحِمها فكرة القومية المصرية، كما برز قاسم أمين (1865–1908م) وهو أحد تلاميذ محمد عبده وصاحب كتاب (تحرير المرأة) الذي وضع فيه تناقض غير مباشر عن تلاقي الدين والحداثة، لكن في كتابه الآخر (المرأة الجديدة) وضح ماهية المرجعيات التي ارتكز عليها وهي قواعد المدنية الحديثة والعلم التجريبي، أما لطفي السَّيد (1872–1963م) وهو أقل نزعة من قاسم أمين، صاحب فكرة الأمة المصرية وأن المجتمع غير الإسلامي أفضل من الإسلامي؛ لكنه لم يصرح بعدم تلاقي المدنية مع الإسلام، ثمَّ يتطرق حوراني إلى علي عبد الرازق (1888–1966م) صاحب كتاب (الإسلام وأصول الحكم) الذي أشار فيه إلى أنَّ الخلافة ليست من أصول الدين، والإسلام لم يُقِم دولة، ونرى بأنَّ علي عبد الرازق جاء في زمن سقوط الخلافة العثمانية، وهو ما جعله أمام خيارين إمَّا أن يدافع عن الخلافة أو ينكرها، وقد اختار نكرانها.

4.الجيل الرابع (السلفية الإصلاحية الإسلامية)

أحدثت أطروحات الأفغاني ومحمَّد عبْده هزات فكرية في العالم الإسلامي، فبرزت حركة إصلاحية تحمل هذه الأفكار، وتناول حوراني أحدهم وهو رشيد رضا (1865–1935م) الذي التقى بمحمد عبده ثمَّ أصبح تلميذه، ففكره لا يختلف عن معلمه، حيث حاول إعادة إنتاج فكر محمد عبده مرتكزًا على أسس السَّلف والدفاع عن الإسلام، ونشر هذه الأفكار عبر مجلته المنار والعديد من المؤلفات، التي اعتبرها حوراني من المصادر المهمة لتاريخ الفكر العربي.

ويلخص حوراني أفكار رشيد رضا، بالتالي: أنَّ على الإسلام تحدي العالم الجديد، وأن يستفيد من المدنية الحديثة في أوروبا لكي يستطيع النهوض، كما كان يدعوا إلى تعديل المذاهب ووضع شريعة تستند إلى القرآن والسُّنة وتنسجم مع العصر الحديث.

5.التيار العلماني:

وكما ذكر حوراني بأنَّ محمَّد عبْده كان جسرًا للعلمانية، فإن أطروحات الإسلاميين كان لها تأثير في النخب، فظهر تيار علماني، ركز حوراني على أبرز رواده وهو شبلي الشميل (1850–1917م) الذي رأى بأنَّ العلم هو الدين الجديد والحاجز الذي سيوقف الديانات القديمة، وأن العلم سيحرر الإنسان، كما أنه يعتقد بأن العلم الحل الأمثل للغز الكون.

ثم يذكر حوراني فرح أنطون (1874–1922) الذي طرح فكرة فصل الدين عن الدولة وتحديد أطر العلم والدين وتشبيهما بالعقل والقلب، حيث إن العقل وظيفته الملاحظة والاستنتاج والقلب وظيفته الإيمان بما وجد.

ثم يعرج الكاتب إلى تأريخ نشوء فكرة القومية العربية التي يرجعها إلى عوامل التريك التي حدثت في القرن التاسع عشر، ونرى بأن حوراني قد حجّم أسباب النشوء، حيث إن هناك عوامل عديدة دفعت بفكرة القومية العربية إلى الولادة من أهمها تلبية متطلبات الشعب العربي في العصر الحديث.

6.الجيل المعاصر:

وفي آخر فصلين يركز حوراني على فكر طه حسين (1889-1973م) ويعتبر بأنَّ كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) به مجمل فكر طه حسين، حيث ادّعى بأنَّ مصر جزء من أوروبا، وأنَّ غاية الحياة صنع الحضارة التي يكون بها توازن ما بين العقل والدين وهو سبب تفوق أوروبا، حيث إنَّ العقل يحكم المجتمع والدين يملئ القلوب.

وسوف نتناول أطروحة علي محافظة في المقال القادم والذي حاول التأريخ لعصر النهضة العربية بطريقة مغايرة لألبرت حوراني.

الهوامش:

1. محرر الموقع. الموسوعة العربية. 3 10, 2020. {http://arab-ency.com.sy/overview/3875} (تاريخ الوصول 3 10, 2020).
2. مصطفى زين ، " أنا إنكليزي المولد والنشأة ، " المجلة ، ع 64، 1981 ، ص65.
3. المرجع نفسه، ص66.
4. المرجع نفسه، ص66.
5. ألبرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة (بيروت : دار النهار، ط 1، 1968)، ص.11.
6. ينظر: زكي ميلاد: لكي لا يخسر العالم العربي عصر الإصلاح، مركز الاشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية، شوهد في بتاريخ 2022/11/01م في: (https://cutt.us/CpLy7).
7. زكي ميلاد مرجع سابق، ص. 38.
8. حوراني ، مرجع سابق ص.11.

Wondershare PDFelement